الأسبوع التاسع: الطرق الصوفية

- الطريقة القادرية
- الطريقة التيجانية
- الطريقة السنوسية

لعبت الطرق الصوفية دورا بارزا في نشر الإسلام والثقافة العربية منذ قرون خلت في إفريقيا السوداء أهمها:

1- **الطريقة القادرية:** نسبة إلى عبد القادر الجيلالي من العراق انتشرت في افريقيا خلال قرن12 م دخلت إفريقيا الغربية عن طريق موريتانيا وكانت منطقة ولاتا أول مركز لهذه الطريقة ثم امتد نفوذها ليصل إلى طمبوكتو في القرن 15 م ولم يمض وقت طويل حتى عجت البلاد الافريقية بدعاة القادرية التي وصلت حتى غينيا وكان الدعاة القادريون يدعون إلى الدين والعلم معا ويرسلون من يود التزود بالعلم إلى شمال افريقيا كما كانوا يؤسسون المدارس ويشرفون وينفقون عليها، وقد قام نشاطهم في البداية على الإرشاد والتمسك بالفضيلة كما كانت تضم في صفوفها الطبقة المترفة، إن هذه الطريقة كطريقة صوفية ظهرت خلال القرن 16 م رغم أن تطورها الحقيقي كان في بداية القرن 19م، إذ تحول مذهبها من الاهتمام بالجانب الدعوي إلى الجانب السياسي كرد فعل على ظهور الاستعمار الأوروبي في المنطقة.

إن من بين شيوخها الذين كان لهم الدور الهام في نشر الدعوة ومناهضتهم للاستعمار الشيخ أحمدو 1755م، الشيخ عثمان دان فوديو 1745، ومما يثبت التطور الذي عرفته القادرية خلال النصف الثاني من القرن 19م منه ظهرت بعض المدن كمراكز للنفوذ الاسلامي القادري في المنطقة بين الوثنيين ومن ذلك العواصم المتعددة بداية من تشاد إلى الكاميرون.

إن القادرية شانها شأن الطرق الأخرى في كافة أنحاء العالم الإسلامي بدأت تضعف في إفريقيا السوداء وتنحرف ومرد ذلك ما اتسم به بعض دعاتها الذين اتبعوا أسلوب المهادنة والصداقة في الكثير من الاحيان مع الاستعمار مما جعلها تضمحل تدريجيا وتذوب في شكل افريقي مع بداية القرن العشرين ومهما يكون من الأمر فلو لا القادرية لما ظهر الشيوخ ولا عرفت شعوب افريقيا مبادئ الدين الإسلامي السمحاء

2- **الطريقة التيجانية:** نشأت هذه الطريقة في الجزائر بعين ماضي مؤسسها الشيخ أحمد بن محمد التيجاني 1737م/1815م تعتبر سنة 1777م -1778 بداية نشر هذه الطريقة وذلك انطلاقا من مدينة فاس المغربية التي أقام فيها أواخر أيام حياته داعيا لطريقته في المنابر الصحراوية في افريقيا الغربية. عبر الصحراء الموريتانية وتونس ، وكان الشيخ التيجاني يقوم بتأسيس الزوايا في المناطق التي يحل بها خاصة زاوية فاس ولقد سلكت التيجانية تقريبا نفس الأسلوب الذي سلكته القادرية فكان الأسلوب الأول سلميا والثاني مدعما بالجهاد والسيف إن المبادئ التي ارتكزت عليها تمثلت فيما يلي:

- الحفاظ على جوهر الدين.
- العمل بالقرآن
- اصلاح شأن المرأة
- مقاومة الاستعمار

إن التيجانية انتشرت انتشارا واسعا في السودان الغربي عامة والسينغال خاصة والمناطق المحيطة به وذلك في فترة قصيرة من تأسيسها غير أن التطور العام الذي عرفته يعود إلى عهد الحاج عمر تال. الذي عزم على نشر الإسلام بين الوثنيين في إفريقيا بأكملها وأعلن الجهاد ضد الوثنية والاستعمار الفرنسي، وقد استطاعت بفضله الوصول حتى شرق تشاد وقد حذا حذوه الشيخ سموري توري 1846م-1905، في أعالي النيجر. ومع أواخر القرن 19 انقسمت التيجانية إلى فرق متعددة بسبب الخلافات وقد قدر لها أن تنمو بمفهومها الافريقي.

3- **الطريقة السنوسية:** ثمة دور هام للطريقة السنوسية في نشر الاسلام في المنطقة الواقعة بين وادي النيجر غربا والتشاد شرقا وقد أسسها محمد بن علي السنوسي وهو من الجزائر (مستغانم) ولد 1787م توفية 1879، بدأ في نشر مذهبه سنة 1837 والذي يقوم على إصلاح شأن الإسلام ومحاربة البدع والرجوع إلى جوهر الدين والعمل على نشر الدعوة بالإقناع والسلم والإغراء، لقد تعرضت هذه الحركة لمضايقات استعمارية جعلت زعيمها

يستقر في واحة جغبوب في برقة حيث أنشأ فيها معهدا علميا، وبالإضافة إلى تلقي الطلبة للعلم كانوا يتدربون على الرماية وركوب الخيل واستعمال السلاح، كما انها كانت مركزا اقتصاديا هاما وبعد وافته انتشرت طريقته انتشارا واسعا شملت القسم الشرقي من الصحراء الكبرى.

إن من بين مآثر أتباع هذه الطريقة محاربتهم لتجارة الرقيق حيث كانوا يشترونهم ثم يقومون بتعليمهم بعدها يحررونهم كما أن السنوسيين دعموا كل الحركات التحررية التي قاومت الاستعمار كدعمهم للتوارق في صحراء النيجر وغيرها، ومن إنجازات الطرق الصوفية ما ذكره طوماس آرنولد على لسان كلود جورج المؤرخ الانجليزي أنه قد استقرت جماعة صغيرة من المسلمين في شمال سيراليون وجاء المعلمون المسلمون ففتحوا مدارس لتعليم اللغة العربية والعقائد التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ومنعوا بيع الرقيق وسارو على شريعة القرآن.

لقد تجلى دورها خاصة في غرب إفريقيا السوداء في ميدان التعليم وذلك من خلال الكتاتيب القرآنية والمدارس العربية التي اقاموها في المنطقة كما تجلى الدور الثقافي الذي قامت به الزوايا والطرق الصوفية في غرب افريقيا من خلال عدد الكتب التي تحتوي عليها مختلف المكتبات وفي الميدان التجاري قدمت الزوايا الأمن للقوافل التجارية وذلك حتى وصولها إلى إقليم توات وطومبكتو أما في الميدان السياسي فقد ساهمت مساهمة تستحق الذكر حيث اقلقت كثيرا الاستعمار الفرنسي في شمال وغرب افريقيا وكثيرا ما حاربته حربا شديدة ظهرت بواسطتها دول محلية يتزعمها أفارقه كما أعطت دفعة جديدة للإسلام وحضارته وأيقظت الاحساس بالمسؤولية في نفوس المسلمين الأفارقة كما أنها في الجانب الاجتماعي عملت على مساعدة المحتاجين والفقراء كما عملت على رفاهيتهم وكذلك جلبت الطمأنينة بين الأفراد والقبائل.

نتائج انتشار الاسلام:

استطاع الاسلام كحضارة راقية أن يثبت وجود المدنية الإفريقية وأن يطورها وكان أحد العوامل الرئيسية التي أدت إلى ازدهار الحياة الاقتصادية في غرب افريقيا أبان العصور الوسطى وما بعدها.

1- **اقتصاديا:** لعبت التجار المسلمون دورا بارزا في إخراج الأفارقة من عزلتهم وأكبر دليل على ذلك أن هناك رحلات موسمية يقوم بها المسلمون منذ القرن 12 م والتي وصلوا بفضلها إلى اقصى الغابات الاستوائية وكنتيجة طبيعية لهذا النشاط التجاري كان ظهور المدن على طرق القوافل وهي ذات طابع إسلامي ولما أتقن الأفارقة اللغة العربية زادت التجارة بالمقايضة والاشارة، تحسن طريقة المعاملات التجارية حيث أدخل الاسلام إلى هذه الأصقاع نظام الصكوك والمعاهدات والمكاتبات التجارية يضاف إلى ذلك نظام الضرائب ومن المدن التي ساعدت على ظهور التجارة وكانت بمثابة مراكز عربية اسلامية مدينة جينيه ، طومبكتو،غاووة، أغادش، ولاتا.

2- **الزارعة:** شجع الإسلام العمل الزراعي وتربية المواشي بعد أن كان الأفارقة يعيشون على أكل لحوم البشر الصيد والقطاف حيث تركوا حياة الترحال واستقروا في الأراضي الزراعية وكانت أنواع المزروعات الحبوب، الأرز والغلال، وقد إعترف الفرنسيون بعد احتلال السينغال أن زراعة الفستق، في هذا البلد كانت بفضل المسلمين، وإذ كان الإسلام قد قدم للإفريقيين المبررات النفسية والاجتماعية للعمل في الزراعة والتجارة فإنه كذلك خلق قوى تعمل في النشاط الصناعي خاصة الصناعة اليدوية التي أصبحت تتقدم تقدما ملحوظا فازدهرت صناعة النسيج والحياكة عن طريق محاربة عادة العري السيئة حيث برزت مدينة طومبوكتو في صناعة النسيج كما ذكر ذلك المؤرخان كاتي وانتى ديوب كما نمت الصناعات الاستهلاكية المحلية نموا كبيرا حيث ظهرت صناعة الدباغة، والأحذية والحدادة كما أن التمركز الإسلامي في مدينة سينغاي الذي اتخذ من نهرها العظيم طريقا للمواصلات وخط دفاعيا فظهر نشاط صناعة القوارب وبما ان هذا النهر يتمتع بثروة ضخمة من الأسماك سادت صناعة التجفيف بالإضافة

إلى صناعة الذهب التي كانت بمساعدة من المسلمين حيث ذكر بعض المؤرخين الأوروبيين أن مسالك الذهب وصلت الي بلدان البحر الأبيض المتوسط

3- **الاجتماعية:** اعتني المسلمون منذ فتوحاتهم الاولي لبلاد افريقيا الغربية بالجانب الاجتماعي يظهر ذلك في تغيير بعض العادات السيئة التي كانت معروفة في أوساط هذه الشعوب الإفريقية في عهدها الوثني مثل اكل اللحوم البشرية وتقديم القرابين وعدم الاغتسال والعري والانحناء امام الملك... ولقد كانت السلطة الأميسية مهيمنة علي الحياة الاجتماعية غير انه بمجيئ الاسلام الي افريقيا نسب صلة القرابة الي الاب مما اعطاها دفعا قويا ومنح بذلك للرجل دورا هاما في المجتمع. كما أن الإسلام انسجم وبمرونة تامة مع فكرة تعدد الزوجات لم يكن القضاء في الممالك الافريقية في العصر الوسيط منفصلا عن الدين الاسلامي حيث ظهر القضاة وأنشأت المحاكم في مدن معروفة مثل طوميكتو غاوو وكانبي صالح وجينيه

4- **الثقافية:** للإسلام انسياب ثقافي رائع في غرب إفريقيا يشهد له الرحالة العرب والأوربيون كما أن الواقع الافريقي يحين الي العودة للعلاقات المجدية الوثيقة التي نماها الإسلام بين العرب والأفارقة حين اوجد هذا الدين لدى هؤلاء حماسا متزايد للعلم والثقافة ففي مملكة غانا ترك الاسلام أثرا بالغا من خلال 12 مدرسة وقد ظهر جليا التأثير الثقافي في القرنين 15 و16 حيث ابدي الأفارقة رغبة كبيرة في التعلم والثقافة وظهرت نتيجة لذلك مراكز ثقافية ومؤلفات لكبار العلماء.